

الباب الأول

شعائر العبادة وآداب الأخلاق

- ① شعائر العبادة .
- ② الأخلاق في ادب القرآن .
- ③ تصحيح مفاهيم .
- ④ أخطاء مشهورة وتصحيحها

obeikandi.com

الفصل الأول

- ⊗ رمضان شهر الروح والايقان
- ⊗ الصوم وحدة للقلوب والمشاعر
- ⊗ مبادئ انسانية من الصوم
- ⊗ الصوم كفاح وصبر
- ⊗ المجتمع الصائم ذو انسجام و ارادة
- ⊗ اثر الصوم في حياة الصائم
- ⊗ شبهات حول الصيام
- ⊗ ماذا بعد رمضان
- ⊗ شهر الحج
- ⊗ الحج وحدة في المشاعر والامال

obeikandi.com

رمضان شهر الروح والإيمان

يقول الله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»^(١)
فأخبر جل شأنه عن رمضان بأنه الوقت الذي أنزل فيه القرآن لهداية الناس ،
وذكر أنه يجب على المؤمن صوم هذا الشهر إن شهد رؤيته ، أى حضر قدومه
والتقى به في حياته . ورمضان - بذلك - شهر ارتبط به أمران في حياة المسلمين :
ارتبطت به ذكرى نزول الوحي بالقرآن ، وارتبطت به أيضاً فريضة صومه .

وذكرى نزول الوحي بالقرآن يجب ألا تمر مروراً عابراً في حياة المسلمين ،
يقفون عندها طويلاً أو قصيراً ، ويتلون فيها قصة الوحي وما كان من شأن نزول
الآيات القرآنية : على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشأن إلقاء جبريل عليه السلام
به . وإنما هي ذكرى يجب أن تعيد إلى قلوب المسلمين الصورة القوية الواضحة
للإيمان بالله ، تلك الصورة التي تمثلت في حياة المسلمين الأول . إذ عن طريق هذا
الإيمان القوى بالله تعود النفس إلى طمأنينتها وتعود الروح إلى صفائها .

وفريضة صوم الشهر - التي ارتبطت برمضان على نحو ما تحدثت الآية
القرآنية الكريمة - هي أيضاً ليست رسماً من رسوم العبادة ، يؤدي دون أن
يترك أثره في النفس ، أو يكون تعبيراً عما تمتلئ به نفس الصائم من إيمان بالله الذي
فرض وحده الصوم ، ويراقب وحده الصائم . لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

رمضان - كما يحدثنا المولى سبحانه هنا - هو شهر الروح والإيمان . شهر
الروح ، لأن القرآن الذي ارتبط نزوله بوقته مصدر تزكية النفوس وصفائها .
« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ... »^(٢) « تزكية النفوس

(١) سورة البقرة ١٨٥

(٢) الأعلى ١٤ ، ١٥ .

لا تكون بتلاوة القرآن دون الهداية العملية بما فيه من وصايا وأوامر ونواه .
ولهذا اقترن في هذه الآية - « وَذَكَرْ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » - ذكر الله بأداء
عبادة الصلاة ، كدليل على أن القرآن كتاب تلاوة وهداية عملية معاً .

وهو شهر الإيمان ، لأن أداء فريضة الصوم فيه آية على أن الصائم الذي
أمسك فيه عن الأكل والشرب ونحو الحديث ، وأمسك لسانه ، عن الوشاية
وإطلاق الشائعات والأراجيف ، وأمسك يده عن الإيذاء والعبث ، وأمسك
قدميه عن السعي في سبيل الإفساد ، وأمسك قلبه عن الحقد وسوء النية ، وعن التردد
في عون المهموم والمكروب - هو ذلك المؤمن الذي لم يضعف إيمانه بالله ولم
تضعف علاقته بتعاليم الإسلام .

رمضان شهر الإيمان . لأن الصائم لا ترى عبادة صومه تغير الله ، وليس له
من رقيب سوى نفسه وسوى الله . هو إذن مؤمن ، أخلص في إيمانه وفي عبادته .
ولذا يروى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » .

إذا أقبل علينا رمضان وشهدنا شهره ، وجب علينا صومه ، وعندما تحل
ذكره فلتتذكره بما وقع فيه . فهل نريدها ذكرى تمر في حياتنا دون أن تمس
قلوبنا ونفوسنا ؟ هل نريدها ذكرى تمر في حياتنا دون أن نعبث فيها عن إيماننا
القوى ؟ أى حياة إنسانية تلك التى تنقضى دون أن يكون هدفها صفاء النفس ؟
وأى حياة إنسان تلك التى تمضى دون أن يكون فيها إيمان بالله ؟

إن النفس ستشتق إذا قلقت ، مهما كان لها من جاه وسهام ملكت من مال
وساطان ، ومهما اعتزت بالبنين والبنات . وإن النفس ستشعر بالفراغ إن هي لم
تركن إلى الإيمان بالله ، مهما كثر عملها ونشط شعبيها ، إذ أى شيء قاتل للنفس
وراء القلق ؟ وأى شيء عمل للنفس بعد شعور الفراغ في حياتها ؟

يروى أبو أمامة رضى الله عنه : « قلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله

به ! قال : عليك بالصيام فإنه لا مثيل له . « أى لا نظير له فى صحة الجسم ، وكسر النفس . وعظيم الأجر ، وصفاء القلب ، والقرب من الله . وحمل الصيام المفروض ووقته : هو رمضان .

سوف تتعلل النفس فى رمضان - والنفس أمانة بالسوء - بتعللات كثيرة كى تفك من صومه : مرة بها حس المرض ، وأخرى بتوهم أن الصوم مضعف للجسم أو مقلل لإنتاجه وعمله ، وثالثة بأنه يحد من حرية الإنسان فيما يفعل ويتصرف ، ورابعة بأن ذلك تقليد قد مضى زمنه ولم يصلح لحياتنا الحديثة ... وغير ذلك من التعللات والمبررات .

ولكن الإنسان هو الإنسان يشتد ميله إلى ما يضره عادة ، وتكثر حيله وأعداره فبما يورده مورد أهلاك . إن الله الذى فرض العبادة وحدد رمضان لقرينة الصوم ونزول القرآن الكريم ، لم يفرض ما يفرض ويحدد ما حدد إلا لنفع الإنسان ومصلحته . ومصلحة الإنسان هى دائماً أن يكون قوياً ويبقى قوياً : ليس قوياً فى عضلاته ، وإنما يكون قوياً فى عزمه ، قوياً فى روحه ، قوياً فى إيمانه ، قوياً يتغلب على الأحداث دون أن تنال منه . قوياً على الأزمات دون أن تيشه من الحياة . أو تجعل حياته سلسلة من القلق والهموم .

وصوم رمضان كل عام ، والعمل دائماً بهداية الله التى نزل بها الوحي فيه - كفيل بأن يخلق ذلك الإنسان القوى الذى يسيطر على الأحداث والأزمات . إن وضع الإنسان فى الحياة عادة هو وضع المتردد بين الضعف والقوة . وأخطر صور الضعف ذل الإنسان لشهوته ووهمه . وأبلغ صور القوة قوة الإيمان بالله . والتعسف فى الحياة هو القلق فيها بسبب ضعفه . والسيد فى الحياة هو المظمئن بسبب صفاء روحه وقوة إيمانه . ورمضان هو شهر صفاء الروح وتجديد قوة الإيمان .

الصوم وحدة للقلوب والمشاعر

١ - يقول الله تعالى : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ^(١) » .

ويعلم بذلك جل شأنه : أن هذا الشهر هو ذلك الوقت الذي أنزل فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الدعوة إلى الإيمان بالله ، وكتاب الهدى للناس كافة ، وكتاب الصراط المستقيم لسلوك الإنسان في حياته وفي علاقته بإنسان آخر معه في الوجود .

وقد قامت أمة المسلمين على أساس هذا الكتاب ، وعلى دعوته ، وعلى هدايته ، وارتبط كل فرد فيها بما في ذلك الكتاب من إيمان وهداية . وانقل هذا الارتباط إلى خلفاء المسلمين الأول جيلًا بعد جيل ، إلى يومنا هذا .. وبعد يومنا هذا ، إن شاء الله .

فإذا قدم شهر رمضان من كل عام ، قدم ومعه الذكرى بنزول هذا القرآن ، وما كان من شأنه في أن قامت على أساسه أمة ، وارتبط بما فيه من إيمان وهداية : أفراد هذه الأمة .

٢ - وإذا يقول الله سبحانه بعد ذلك : « فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » وفرض بهذه الآية صوم رمضان - فإن رمضان عندئذ إذا ما أقبل يحصل معه وجوب صومه ، كما حصل معه من قبل : ذكرى نزول القرآن الذي تسكونت على أساسه أمة المسلمين .

وكما أقبل هذا الشهر مرة ، وأدى المسلمون فيه فريضة صومه ، أعلنوا

بأداء هذا الصوم : أن قلوبهم تنطوى على إيمان واحد ، هو الإيمان بالله وحده وبكتابه الذى أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبهداية هذا الكتاب الذى وضع معالم الحق بحيث لا يشتبه به باطل ، ثم فى الوقت نفسه عبروا عن مشاركة فى مشاعرهم ، وعواطفهم وأحاسيسهم . وبذلك تلتقى قلوبهم مع مشاعرهم بصوم هذا الشهر المبارك .

الصوم تربية وتهذيب :

وصوم رمضان إذن لا ينطوى فحسب على مشاركة المسلمين بعضهم بعضاً فى أداء عبادة فرضها الله عليهم ، ولا على إحياء ذكريات فى نفوسهم تتصل بالقرآن الكريم وأثره فى قيام أمته ومجتمعهم ، وأثره كذلك فى تميز هذه الأمة وهذا المجتمع عن بقية الأمم والمجتمعات . وإنما ينطوى مع هذا وذاك على أنهم لا يتخافون عن تلبية النداء ، الذى يوجه إليهم لإيمانهم بالله ورسالته التى سماها الإسلام .

ينطوى صوم رمضان على أن المسلمين إذا ما قاموا بأدائه يلتقى بعضهم مع بعض ، فى الشعور بتلك الآثار التى يخلقها الصوم فى نفوسهم . وهى آثار من شأنها أن تعد هذه النفوس للقاء ما تفرضه الحياة عليهم أحياناً من حرمان ، أو تحدئه فى وقت من الأوقات من أزمات . كما من شأن هذه الآثار أيضاً أن تهيب هذه النفوس الصائمة لإقبال الغنى منهم على المحروم فيهم ، وإقبال صاحب الصحة منهم على المريض بينهم . وبذلك يكون التعاطف والتواد .

والأمة — كأمة — فى حاجة إلى أن يلتقى أفرادها بعضهم ببعض فى النفوس والقلوب ، وأداء الواجبات .

إن هذا ما يجب أن نحدئه فريضة الصوم إذا أدت . فإن لها أكثر من

معنى وأكثر من هدف ، ولذا ينبغي أن لا تخرج عن وظيفتها . ينبغي أن لا يكون أداؤها سبباً في فترة الأفراد بعضهم من بعض . ينبغي أن لا يكون الصوم سبباً في الاحتكاك ، أو سبباً في إهمال العمل الذى يجب أن يؤدي أو يؤثر عليه ، أو سبباً في التراخي فيه في صورة ما . يجب أن لا يكون الصوم شاملاً يستتر وراءه من يسمى المعاملة الغيره ، أو يستتر وراءه العامل والأجير ويتخذ منه مبرراً يدفع به تهمة الإهمال أو التراخي فيما يوكل إليه من عمل .

يجب أن يحتفظ الصائم بأهداف فريضة الصوم . ومن بين هذه الأهداف وحدة القلوب ووحدة المشاعر . واتخاذ الصوم مبرراً للنزاع أو الاحتكاك ، أو مبرراً للإهمال أو التراخي ، من شأنه أن يبعد القلوب عن أن تتلاقى ، وبعد المشاعر والعواطف عن أن تتجاوب .

ومن يؤدي فريضة يجب أن يؤديها لصالح نفسه ، ولصالح أمته وجماعته . أما لصالح نفسه ، فليس فقط لأنه سوف يمر بامتحان قد تفرضه عليه ظروف الحياة يوماً ، دون أن تنال من نفسه ومن معنويته هذه الظروف . وهو امتحان الحرمان ومجاهدة النفس في التغلب عليه . ولكن بجانب ذلك سيرجع إلى نفسه فيذكر أنه عضو في جماعة وأمة لها إمامة ، ولها رسالة في الحياة يمارس شعائر عبادتها ، ويسعى إلى أن يتبادل خلجات القلب وعواطف النفس مع كل فرد فيها . وأما إنه لصالح الجماعة : فالجماعة التي يتجاوب أفرادها قلوباً ونفوساً ، وإيماناً وعواطف هي الجماعة القوية المتماسكة .

واجبنا في شهر رمضان أن نتذكر كل واحد من أفراد هذه الأمة المسلمة أنه عضو فيها ، ولنتذكر أن شعار الإسلام هو أن يكون مؤدياً لفرائض دينه . وفي مقدمة هذه الفرائض : الصوم . وليراجع كل واحد منا في يومه هذا ما يتردد في نفسه من عوامل الإقدام على الصوم وعوامل الإحجام عنه . وسيلم بعد هذه

المراجعة : أن عوامل الإحجام عن الصوم ترجع إلى ضعف العزيمة ، وسيطرة إغراء الشهوة على النفس . وليس بإنسان ناجح في الحياة — ذكراً أو أنثى — من تهين عزمته أمام الإمساك عما يشتهى فترة من الوقت . وليست هذه بأمة تقف في وجه الشدائد والأزمات ، تلك التي يضعف أفرادها أمام ما يغري النفس من مأكل أو مشرب ، يياض نهار .

نريد أن يكون كل فرد في هذه الأمة سيداً على نفسه وشهوته ، وأن تكون الأمة كلها ذات سيادة على الشدائد والأزمات . والصوم هو الوسيلة الأولى لتلك السيادة المنشودة .

مبادئ إنسانية من الصوم

يروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: « كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل الا الصوم ، فإنه لي وأنا اجزي به ؛ يدع شهوته وطعامه من أجل ، فالصائم يترك شهوته ، وبالأخص طعامه ، في فترة محددة من اليوم ، وفي أيام معدودات متتالية ، ويترك ذلك في سبيل الله ومن أجل الله . يترك مطلوباً لجسمه ، في سبيل تزكية نفسه وقلبه . لأن سبيل الله وما يريده الله هو ما يوصل إلى طهارة النفس ، وصفاء القلب : طهارة النفس مما يؤذيها من بواغ الشر والفتنة ، وصفاء القلب : مما يكدره من سوء الاعتقاد وضعف الإيمان .

الصيام انتصار على شهوات النفس

والصائم مكافح : يكافح هوى وشهوة لينصر إيمان النفس بالله . يكافح الإلف والعادة في حياته اليومية لينصر إرادة ، وليوقظ ضميراً . وإن الصائم إذ يكافح الهوى والشهوة في وقت معين ، وعلى نحو خاص يكافح قوة لها أثرها العنيف على الإنسان نفسه .. يكافح رغبات جسمه ومطالب بدنه .. يكافح استسلاماً لهذه الرغبات والمطالب كي ينجح في أن يكون صاحب الأمر عليها ، بدلاً من أن يكون مستسلاً ذليلاً لها .

إن وضع الصائم وضع شاق : تدعوه شهوته ، ويدعوه الله عز وجل شأنه . تدعوه شهوته لأن يلبي نداءها ، ويدعوه الله إلى أن يكف عن نداءها ليحقق لنفسه مثل الإنسان المؤمن المرید . فإذا أطاع الله وكف عن نداء شهوة الجسم ،

وترك شهوته وطعامه من أجل الله : كان عندئذ خليقاً باحتضان الله إياه في مشيئته وفي جزائه ، وفي تقدير ما يجازى به على هذا العمل الشاق الذي انتصر فيه إلى جانب الله سبحانه وتعالى .

وفي عدم تحديد جزاء الصائم في هذا الحديث الشريف من جانب الله تعالى ، على نحو ما ذكر قبل من مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف : يدل على أن منزلة الصوم بين الأعمال الطيبة التي يقوم بها الإنسان تعظم عن التحديد والتقدير عند الله جل شأنه . وإنما تعظيم منزلته بهذه الصورة لأنه يكاد يكون العبادة الوحيدة التي يبرز فيها الصراع والكفاح من الإنسان لشيء يتعلق بذات الإنسان ، دون عرض من أغراضها التي تتصل بها .

فالصلاة تقوم على تخلية الإنسان نفسه من الدنيا حين التوجه إلى الله ، وحين الإعلان عن هذا التوجه يقول المصلي : « الله أكبر » .

والزكاة تنازل عن جزء من المال الذي ملكه أو اقتناه ، وهو تنازل عن عرض لحق ذاته ، ولم يكن من صميم الذات نفسها .

والحج . ما فيه من مشقة لا يتجاوز مشقة السفر ، وما فيه من إنفاق لا يتجاوز عرض المال التابع .

أما الصوم فإنه كفاح موجه من الذات ضد الذات .. كفاح موجه من نفس الإنسان ضد رغبات جسده وبدنه . ومن هنا نفهم ما يروى عن الرسول من قوله : « قال الله عز وجل الا الصوم ؛ فإنه لي وأنا اجزي به يدع شهوته وطعامه من أجل » .

الصوم يعلم الصبر ويخلق الأمل :

والصوم إذن كفاح وجهاد شاق ، لأنه من الإنسان لذات الإنسان . ولكن أحتاج الإنسان إلى هذا الكفاح في حياته مرة كل عام ؟ يقول ابن ماجه

إن « لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر » . ولكن أيضاً فم حاجة الإنسان إلى الصبر ؟ . إن الإنسان لا يعيش وحده في مجال هذه الحياة . إنه يعيش مع آخرين . إنه يناقش آخرين . إن له آمالا . إن عليه واجب رد الاعتداء عليه من غيره . إن عليه أن يكظم غيظه في وقت تطلب الحكمة منه أن يكظم هذا النیظ . إن عليه أن يسعى في سبيل عيشه وعيش أهله ، وقد يحقق في سعيه مرة أو مرات . هذا هو طابع الحياة التي يعيش فيها الإنسان . لذا كان لابد له من أن يتعلم الصبر ، حتى يحقق ما يؤمل ، أو يدفع ما يوجه إليه من اعتداء . لابد له من أن يتعلم الصبر حتى يثابر في سعيه في سبيل عيشه ، حتى لا يأس عندما يجيب مسعاه أو يحقق في أمله .

وليس هناك وسيلة مجدية لتعلم الصبر إلا امتحان الإنسان لنفسه ، ورقابته على ما يمتحن به نفسه ، دون سواء . والصوم هو مجال هذا الامتحان ، وهذه الرقابة الذاتية . ليس هناك في الصوم من يمتحن إلا الإنسان نفسه ، وليس هناك من رقيب إلا ذات الإنسان على الإنسان .

* * *

والصوم مطلوب للإنسان كإنسان ، ومطلوب للبشرية كلها . وإنه كفاح في سبيل إعداد الإنسان للحياة الإنسانية . إنه السبيل لسيطرة الإنسان على نفسه .. السبيل إلى إيقاظ الضمير في الإنسان ليراقب أعمال الإنسان .. السبيل إلى الصبر .. السبيل إلى التمسك بالأمل .. السبيل إلى تجنب اليأس عند الخيبة والإخفاق .

يروى أبو هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ؛ وغلقت أبواب النار ؛ وصفدت الشياطين ، فربط عليه الصلاة والسلام فتح أبواب الجنة ، وغلق أبواب النار ، وتقييد الشياطين عن العمل ، بمجيء رمضان ، شهر الصوم — إزاء بأن صوم رمضان

على الوجه المطلوب في الصوم ، والغاية المرجوة من صيامه ، من شأنه أن لا يترك ثغرة في حياة الصائم تنسرب منها المزيمة لنفس الإنسان ، وإيمانه ، وقلبه . لأن الصائم على الحقيقة قد ملك ناصية الأمر على النفس الأمارة بالسوء . وهي ما يتصل بمطالب بدنه . وعندئذ لا مكان للإثم في عمل يدعو إلى البر ويمنع صاحبه من الفار ، فأبوابها إذن مغلقة ، ولا مكان لعمل الشيطان لأن عمله إنما يكون عندما تسود النفس الأمارة بالسوء . وهي الآن مسودة لا سائدة . فالشيطان إذن مقيد عن العمل ، وإذن لم يبق إلا أن تكون أبواب الجنة مفتحة . لأن عمل الصائم عندئذ يصدر عن قلب وعن إيمان ، لا عن شهوة واستسلام للهوى .

الصوم عبادة إصلاح للروح والبدن ، وعبادة تعد الإنسان لحياة الخير ، لخير الإنسان نفسه وخير جماعته .

الصوم : كفاح وصبر

أود أن لا أتجاوز واقع الأمر المحسوس ، وأريد أن تقف جميعاً أمام أمثلة واضحة في حياتنا اليومية : كل مثاله أسرة ، أو شاهد لأحوال أسرة . وكل من رأى الولد المدلل فيها ، ووقف على خطوات سيره في حياته ، وعلى موقف الوالدين من هذا الولد المدلل :

أما خطوات سيره في الحياة فهي رغبات متزايدة ، لا تلبى رغبة منها إلا تلحق بها أخرى ، مع إصرار في تحقيقها وإلحاح في الإسراع بإنجازها . وكثير من هذه الرغبات ينطوى تحقيقه على ضرر بين يصيب هذا الولد المدلل : سواء بالنسبة لصحته ، أو بالنسبة لتوجيهه .

وأما موقف الوالدين من ولدهم المدلل فهو طاعة لما يشاء ، وعمل على إنجاز ما يرغب ، أو اعتذار عند العجز ووعد مؤكد لتحقيق مشيئته في غد أو بعد غد . وأما نتيجة دلال الولد واندفاع الوالدين في تحقيق رغباته المتلاحقة فهي : عدم نجاح الولد في حياته ، وحسرة الوالدين على خيبة أملهم فيه : لا ينجح المدلل في الحياة لأنه لم يعرف من الحياة إلا ما حلاله ، وهو ما يرغب في تحقيقه وسعى لدى والديه لإنجازه . وحلوا الحياة في واقع أمرها أقل بكثير مما هو مر المذاق فيها . لا ينجح المدلل أيضاً في الحياة لأنه لم يتدرب على ارتكاب الصعب فيها ، واجتياز مشاقها . وصعابها وشاقها لا تعد ولا تحصى .

وإذا لم ينجح الولد المدلل في الحياة ففجيمة الوالدين فيه نتيجة طبيعية لطبيعته وعدم استطاعته ملاحقة السير لزملائه وإخوانه في الحياة .

ولذا تسوء عاقبة أمره ، وأسرته تنكب في أعز موجود لديها . تلك نهاية قصة الولد المدلل ، واندفاع أهله في تدليله .

الولد المدلل ، هو ذلك الإنسان الذى رغب عن الصوم لما فيه من المشقة ومجاهدة النفس حول نوازعها ورغباتها . والأسرة التى نكبت فى ولدها المدلل هى جملة ذلك الإنسان الذى ألف الاسترسال فى رغباته ومتابعة شهواته ، ولم يحاول بالصوم أن يعود نفسه على مر الحياة ، كما تعود حلوها ، وأن يتحمل ألم الحرمان كما تتمتع بالحصول على ما طابه فى سرعة وفى يسر .

الصوم تربية وتوجيه :

والصوم لم يفرضه الله سبحانه وتعالى إلا ليخرج الإنسان من دائرة الطفولة إلى دائرة الرشد الإنسانى . الصوم وسيلة لاغى عنها فى إعداد الإنسان لحل رسالة الحياة ، والظفر فى النهاية بنأديتها أداء كاملاً نستريح إليه النفس وتسعد به .

فهو ضرب من ضروب التوجيه الإنسان : فيه قسوة ، ولكنه منطوق على نفع محقق لمن يأتى به . لا أقول : إن الحياة كلها تعب كما ينظر إليها بعض المنشأين . ولكنى أقول : فيها كثير مما يشق على النفس تحصيله ، أو فيها كثير من الصعاب والمخاطر تضطر النفس إلى مقاومتها والتغلب عليها ، وهى إذ تضطر إلى ذلك تضطر بدفع من الوجود الخاص بها ، أو بدافع من الظروف التى تحيط بجماعتها وأمتها .

إن الأزمات التى تصادف الإنسان هى من واقع الحياة ، وليست صوراً متخيلة . ولذا من ضرورة حياة الإنسان أن يلقى أزمات . فإذا لم يدرّب نفسه على تحمل الصعاب لا يستطيع أن يتغلب على ما يصادفه من أزمات . وهو لا يعود على تحمل الصعاب إلا إذا مرّت نفسه على ألم الحرمان . وأوضح صور الحرمان تلك التى يحول فيها الإنسان بنفسه بين نفسه وبين ما تشتهى : فهو بذلك أن يلجى رغبته ، ويستطيع أن يجيب نفسه إلى ما تطلب ، ولكنه لا يفعل . هذه الصورة من الحرمان هى الصوم الذى فرضه الله سبحانه وتعالى على الإنسان .

وإذن لم يفرض الله تعالى الصوم على الإنسان عقوبة له ، بل كلف به القادر عليه من عباده ، توجيهها له في حياته ، وتبصيراً له بواقع الأمر فيها ، حتى تكون خطواته في طوافها خطوات المثبت العارف بدروسها وغاياتها .

إن الذى لا يتوقع الأزمات في حياته إما طفل يعيش في عالم الرغبات ، أو إنسان يشبه الطفل في إدراكه وتصوره . وكلاهما يصير حتماً إلى نهاية واحدة إذا لم يتعلم من تجارب الواقع : هذه النهاية هي الخيبة والفشل ، أو الضعف والاستكالة . وما عاش إنسان مستكين ضعيف .

والحديث عن الجماعة والأمة هو الحديث بعينه عن الأسرة : فالجماعة التي قام أفرادها بفريضة الصوم جماعة التزمت التوجيه السليم في الحياة ، وتوسلت بوسيلة النجاح في التغلب على صعابها ومشافها . والجماعة التي استخفت أفرادها بهذه الفريضة ، عاقبة أمرها الفشل والضعف .

أى صوم هذا الذى تؤديه في هذا الشهر المبارك ولا نستطيع أن نتحمل فقدان سلة من السلع في حياتنا اليومية ؟

وأى صوم هذا الذى تقرب به إلى الله جلّت قدرته في هذا الشهر الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ولا نستطيع أن نكف عن انمو القول في تافة الأمور ، مما يقع ويحدث في حياتنا العادية ؟

وأى صوم هذا الذى يباهى به المسك عن الطعام والشراب ، وهو لا يستطيع أن يعطى غيره بعض ما أمسك عنه ، أو يقنع ببعض ما يستطيع الحصول عليه لشهوة بطنه ؟

ولا أعدو الصواب إذا ذكرت : أن الصوم هو الأساس النفسى لإخراج الزكاة عن رضا وطواعية ، وإنه الأساس كذلك للجهد في سبيل الله ، والقيام به عن محبة ورغبة .

المجتمع الصائم

مجتمع يمثل : ولا يستسلم

١ - يروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه يقول : قال الله تعالى « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لى وأنا اجزى به » وذلك بنسبته وحده من بين العبادات إلى الله تعالى . والحديث هنا يضع الصوم موضع العبادة الخالصة لله ، ويزيد فى قيمته عند الله ، كى يدفع المؤمنين على تقبل أدائه فى رضا نفس ، واطمئنان بال . فالصوم عبادة مفروضة كبقية العبادات ، وشأنه شأن الصلاة والزكاة والحج . وهى كلها عبادات قصد من مباشرتها : تزكية النفس واستقامتها فى السلوك وتأخيرها مع الغير . وتزكية النفس واستقامتها ، وحسن صلاتها بالغير : فوائد تعود أولاً وبالذات على النفس التى تزكت وتطهرت واستقامت وحسنت صلاتها بالغير .

والإسلام ، بهذا الحديث إذن ، حرص على أن يودى المؤمن المكلف فريضة الصيام فى غير تبرم ولا قلق نفسى ، لأنها عبادة خالصة لله .

ثم فى التعبير هنا فى هذا الحديث عن الصيام بأنه لله - ما يفيد أيضاً : أنه على المؤمن المكلف أن يقوم بفريضة الصوم ، دون أن يسأل نفسه عن أسباب فريضته ، وعن غايات ما يرجى منه . عليه أن يؤديه لأنه واجب عليه أن يؤديه . عليه أن يعبد به الله . هو عبادة تؤدي دون أن تناقش ، وتطاع دون أن يخالج النفس فى شأنها أمر آخر سوى الطاعة والامتثال المطلق لله تعالى .

وأثر الصوم فى صحته ، أو فى إرادته ، أو فى صلاته بغيره من العطف على المحروم وصاحب الحاجة ، أو فى تزكية النفس وصفائها - كل ذلك يتلوه الإنسان فى الصوم وراء ما فيه من معنى العبادة والامتثال الطاق . والدفع الذى يدفع

الإنسان لأداء الصوم يجب أن يكون هو معنى كونه عبادة لا غير ذلك مما يتلصصه الإنسان من فوائد فيه .

والمجتمع الصائم هو مجتمع يمثل الله ، ويمثل لرسائله ومبادئه . ويمثل لإشاعة السلام ، والعدل ، والأخوة والتعاون . هو مجتمع يمثل فيدفع نفسه تنقاد إلى مستوى أرفع في الإنسانية . وهو المستوى المهيذب المصقول . هو مجتمع يمثل لصفاء النفس وسيادة الصفاء والطهر فيها على الخقد والإيذاء .

٢ - ومع أن المجتمع الصائم مجتمع يمثل الله ورسائله في الأرض : هو مجتمع لا يستسلم للبغى والعدوان . إذ الإنسان الصائم في هذا المجتمع لا يستسلم لبغى النفس على نفسها ، ولا لبغى الغير عليها . في حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الصوم جنة ؛ والصدقة تطفيء الحطية كما يطفىء الماء النار » فالصائم - كما يشير هذا الحديث - يدفع بصومه عوامل الاعتداء والقهر ، وهى العوامل التى تجعله فى تصرفه أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان . وإذا مال الإنسان إلى مظهر الحيوانية فى التصرف فقد استسلم إلى قوة البغى عليه كإنسان . والصائم إذن إنسان صلب يؤثر إنسانيته على ما فيه من حيوانية . وبذلك يدفع بصومه قوة اعتداء نفسه على نفسه .

هو لا يستسلم أيضاً لبغى الغير واعتدائه على نفسه . لأنه إذا لم يقبل اعتداء نفسه على نفسه فهو لا يقبل اعتداء غيره عليه ، لا يقبل أن يعتدى الغير إذن على إنسانيته وعلى وجوده كإنسان . هو إنسان مكرم فى أصل طبيعته ، ومطلوب منه عن طريق الرسالة الإلهية أن يبقى مكرماً ويصون كرامة نفسه . والله تعالى إذ يقول : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ » - كرمه بإعداد طبيعته على نحو يسود بها غيره من الكائنات . ومن جوانب هذه السيادة التى أعدها فيه أن جعل فيه الشعور لمقاومة الاعتداء عليه كإنسان ، أيا كان مصدر هذا الاعتداء : نفسه أو غيره .

نعم الحيوان يقاوم واسكنه يقاوم من أجل حيوانيته . أما مقاومة الإنسان للاعتداء عليه فليست من أجل الحيوانية فيه ، وإنما لحساب كرامة الإنسانية عنده . والمجتمع الصائم — وهو الذى يؤدى أفراد عبادته الصوم — مجتمع من غايته إذن : عدم الاستسلام .. من غايته مقاومة الاعتداء .. من غايته أنه يدفع الهزيمة لعوامل الشر والإيذاء .

والقرآن عندما يخاطب المؤمنين بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ »^(١) يوضح للمجتمع الإسلامى الوضع الصحيح لهدفه ، وهو : عمل من أجل السلام ، واتقاء لسبيل الشر والإيذاء . وعبادات الإسلام ، وفي مقدمتها الصوم ، هى الطريق لتحقيق السلام واتقاء سبيل الشر والإيذاء . وإذ يقول أيضاً فى آية أخرى مخاطباً المؤمنين : « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » يوضح للمجتمع الإسلامى ذات الوضع الصحيح السابق لهدفه ، وهو العمل من أجل السلام واتقاء سبيل الشر والإيذاء . وكذلك العبادات الإسلامية وفى مقدمتها الصوم ، طريق هذا الهدف . لأن القتال فى سبيل الله إقرار للسلام ، واتقاء الاعتداء . ودفع العدوان إن وقع ، اتقاء لسبيل الشر والإيذاء .

والصوم . كما شرحنا — عبادة تهيب . لعدم الاستسلام للشر أياً كان مصدره . ولأنه يمثل لله ، فهو لا يستسلم لما عدا الله من عوامل الطغيان والاعتداء ، ويمثل لعوامل الخير والسلام .

المجتمع الصائم

ذو اسعاج وارادة ..

خاطب الله المؤمنين برسالة محمد عليه الصلاة والسلام بقوله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » فأوجب عليهم الصيام كعبادة من العبادات ، ثم حدد مدته في قوله تعالى : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .. » . وإذن على المؤمنين برسالة الإسلام أن يصوموا شهر رمضان من كل عام . وأوضح الله سبحانه وتعالى سبب هذه الفريضة بقوله : « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » . والمؤمنون إذا أدوا فريضة الصوم أداء خالصاً كان مجتهدهم عندئذ مجتمعاً ذا بعد عن الانحراف ، وذا بعد عن الضعف والوهن .

المجتمع الصائم مجتمع ذو ارادة :

فالمجتمع الصائم مجتمع تبرز فيه الإرادة ، ويبرز فيه التصميم . هو مجتمع له هدف ، وخطة لتحقيق هذا الهدف . أما هدفه فإنه يتحكم في رغبات النفس عندما تدعو الحاجة إلى التحكم في الرغبات ، وعندما يفرض الأمر الواقع عايه أن يجد مما تدفع إليه الميول والشهوات . وأما خطته لتحقيق هذا الهدف لإرادته وعزمه وتصميمه .

إن أى مجتمع إنسانى له كيان مستقل قد تمتعنه الأزمات ، وقد تتوالى عليه الأحداث التى قد تضطره إلى أن ينكشمش فى أسلوب عيشته . فإن لم تكن له إرادة تدفعه إلى أن يجتاز هذه الأزمات ويخرج من هذه الأحداث ، سيسقط حتماً تحتها . وقد يقالشى وينصهر فى مجتمع آخر ، بسبب ضيق الأزمات أو قوة الأحداث .

إن أى مجتمع إنسانى لا يعيش دائماً فى حال سالم ، ولا يعيش دائماً فى مستوى واحد من الرخاء ، ولا يحيا دائماً حياة رتيبة . إن المجتمع كالإنسان الفردى ، عرضة للتقلب فى مستوى عيشته . فإن لم يسكن له من قوة العزيمة والإيمان بوجوده وبخالفه ما ييسر عليه أمر الحياة إذا نأزم أو ضاق به السبيل — وإلا فلا رجاء له فى حياة مديدة ، ولا رجاء له فى نقلته من حال العسر والشدة إلى حال اليسر والسعة .

والمجتمع الذى يؤدى أفرده واجب الصوم ، هو مجتمع قد تدرب على الإمساك والحرمان ، تدرب على احتمال المشقة فى الحياة فهو مجتمع يمتاز بالأحداث والأزمات ، يقوى على اجتيازها بما له من دربة فى التحمل والاحتمال . والمجتمع القوى إذن هو مجتمع ذو بعد عن الانحراف والوهن . وما انحراف المجتمع إلا فى تحاذله ، وما ضعفه إلا فى عدم مواجهته لتقلبات الأحداث .

المجتمع الصائم ذو انسجام :

على أن المجتمع الصائم ، من زاوية أخرى — مجتمع غلب عليه الانسجام : انسجام الطابع العام الذى يميزه عن أى مجتمع آخر ، ليست له ذات العقيدة ولا نفس الإيمان . والانسجام فى الطابع العام للمجتمع هو مظهر من مظاهر القوة له كذلك ، لأنه ينبىء عن الوحدة فى الشعور والروابط والاتجاه . ووحدة الشعور والروابط والاتجاه هى وحدة النفوس . ومجتمع توحدت نفوس أفرادها فى إحساسها وعلاقتها واتجاهها : مجتمع غير منحرف ولا ضعيف .

المجتمع الصائم ذو ضمير :

والمجتمع الصائم ليس مجتمعاً ذا إرادة وذا انسجام فحسب ، بل هو مجتمع له ضمير أيضاً من الخالق يمكنه أن يباشر استقامة الصائم فى صومه من الناس ، يمكنه أن يشرف على إتمام الصائم لصومه حسبما ينبغى ويطلب منه .

ليس هناك مخلوق يستطيع مباشرة استقامة الصائم . إنه ضمير الصائم وحده ، ومن ورائه بعد ذلك : رقابة الله الذى يعلم السر وما يخفى . إن الإنسان فى صومه فى صراع مع نفسه وقد يكون صراعه عنيفاً . ولكن ضميره الذى كونه خشيته من الله العلى القدير هو الذى ينجحه فى هذا الصراع ، وهو الذى يجعل منه رقيقاً على نفسه . وهو الذى يدفعه إلى إتمام ما أرادته وما بيت عليه النية قبل ذلك ، وهو أن يصوم فى غده .

والمجتمع صاحب الضمير ليس فى حاجة إلى أن يراقب بعض أفراد بعضه الآخر فى أداء الواجب . وليس فى حاجة إلى الخاصمة والشجناء ثم إلى النقاضى لأنه يفعل بوحى الضمير . وما يوحى به ضميره عندئذ هو ما يخشى فيه الله ، وما يخشى فيه الإنسان الله هو ما يطالبه الله منه : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » (١) .

إن المجتمع الصائم يتقبل الحرمان إن اضطر إليه . وإن فعل فمن إرادة داخلية ورضاء نفسى . المجتمع الصائم مجتمع قوى فى نفسه بمشيئته وبإيمانه وبضميره . وهو مجتمع لا يساق ، كما لا يزعجه التهديد بفراغ المعدة ، لأنه مجتمع يؤثر أن يعمر قلبه بالإيمان عن أن تمتلىء بطنه مع فراغ نفسه من المشيئة والإيمان والضمير .

أثر الصوم في حياة الصائم

جاء الإسلام بعبادتين بدنيتين وهما الصلاة والصوم ، وعبادة مادية تتصل بالمال ، وهى الزكاة ، وعبادة أخرى فيها مشقة البدن وبذل المال ، وهى الحج . والإسلام إذ يقرر هذه العبادات البدنية والمادية لا يرغب فى تحميل الإنسان المشقة البدنية والمادية لذات المشقة فى مظهرها الجسمى أو للمادى . لا يرغب فى أن يقطع على الإنسان فى بعض حياته راحة البدن ، ومتعة المادة . إنما يقصد بهذا التكليف البدنى أو المادى تصفية الروح وتهذيب النفس : يقصد أن يصل بالصلاة إلى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر ، وأن يصل بالصوم إلى تجنب اللغو فى القول والباطل من العمل ، وأن يصل بالزكاة إلى تقوية الشعور بالإخوة وتقوية القربى والجوار والوطن ، وأن يصل بالحج إلى تذكّر المؤمنين بأول بقعة نشأت فيها دعوة الإسلام وبآخر مكان جاء فيه نصر الله والفتح ، حتى يجددوا فى قلوبهم ونفوسهم العهد بالإخوة الصادقة فى سبيل رسالة كريمة لأنفسهم وللإنسانية .

ورمضان عندما يعود بعد قرون من قيام الإسلام ، وتعود معه تكاليف الإسلام الخاصة به : تعود معه فريضة الصوم ، ويعود معه الحث على ما يرجى من صيامه ، وما ينتظره رسول الدعوة الإسلامية ﷺ من الصائم .

يقول ﷺ ، فيما يرويه عنه أبو هريرة رضوان الله عليه : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

ويقصد صلوات الله عليه : أن الصيام ليس إمساكاً عن الأكل والشرب لغاية هى هذا الإمساك فى الفترة المعروفة . بل يجب أن يكون وسيلة قوية لهدف رتبته الله على الصوم ، وهو ضبط الإنسان نفسه عن أن يقول الزور والبهتان ، وعن أن يقول الكذب إن تحدث أو وصف ، أو يقوله إن توسط بين فرد وآخر

في رسالة بينهما ، أو يقوله إن حكى عن غيره أو أدلى بشهادة قصد بها صالح صديق أو من له به علاقة . يجب أن يوصل الصوم وهو تلك الدربة والريضة على حرمان النفس من شهوتها حرماناً لا خيار فيه — إلى تعويد هذه النفس التي أمسكت عن الأكل والشرب : عادة الإمساك عما يفسد من قول أو عمل ، وعما يضرها ويضر غيرها . فقول الزور لا يدعو فحسب إلى وضع قائله وضماً أدبياً غير مقبول في جماعته التي يعيش فيها ، بل يتعدى ذلك إلى أن تفقد هذه الجماعة الثقة فيه ، وإلى أن تأخذ حذرهما منه ، بعد أن تنظر إليه نظرة استخفاف ومهانة . وعمل الباطل أشد ضرراً بمن يأتيه ، سواء على منزلته الأدبية أو علاقته المتبادلة بينه وبين غيره .

والرسول الكريم إذ يشير إلى أن من لم يترك الكذب ، ويترك العمل المفسد نتيجة لصومه فليست هناك حاجة لله في أن يترك هذا الصائم الطعام والشراب — يقصد صلوات الله وسلامه عليه إلى أن يوضح : أن صوم الصائم عندئذ لم يكن ذا أثر إيجابي في حياة الصائم ، ولم تترتب عليه آثاره المرجوة ، وأن القيام به بهذا الوضع يتساوى مع عدم القيام به في النتيجة ، وأن الصائم لهذا كأنه لم يقم بما كلف به من صوم .

الإسلام لا يعنى بالشكل

والإسلام لا يعنى بالشكل فيما يكلف به أتباعه ، ولا يرمى إلى أداء عبادة في شكل رسوم أو في صورة عادة فقط . الإسلام يريد توجيهاً للروح . . يريد استقامة للنفس . . يريد صلاحاً وتهذيباً للفرد . . يريد جماعة غير مفسدة ولا عابثة . ولا يتفق أداء صلاة يتوجه فيها الإنسان إلى ربه مع اتیان لفواحش وقيامه بالذکر والمفسد . وكذلك لا ينسجم أداء صوم مع عبث في القول وباطل في العمل .

عبادة الإسلام طريق لحياة إنسانية كريمة . وليست مجالا لمظهر خارجي .
إبه تناقض أن يصوم الإنسان عن الأكل والشرب ، ثم لا يمسك لسانه ،

ولا يمسك خواطره ، ولا يمسك دخيلة نفسه عن الإيذاء بالسعى والفرقة بين الناس بالكذب ، والإضرار بهم فيما يأتى به من فعل كرهه مبعوض .

ولم يقصد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا إلى الإيحاء بطلب صون اللسان وصون النفس التى تصوم عن الإيذاء والإضرار طول فترة الصوم فقط ، وفى شهر رمضان على الخصوص . لا . إن الرسول الكريم يرمى إلى تحصيل هذه الصفة ، وهى صون اللسان وصون النفس عن الإيذاء والاتصاف بها كشيء لا يفارق المسلم . ولكن ربطها هنا بالصوم ، وبالصوم فى رمضان — لأن الصوم وسيلة رئيسية فى تحصيلها واكتسابها ، ولأن صوم رمضان — لطول مدته وتتابع فتراته : يجب أن يكون كفيلا بالمساعدة على تحصيل هذه الحال المرجوة فى صفة الحالة الدائمة ، لا فى صفة الأمر المؤقت .

وفضلا عن ذلك : زمان رمضان ، لأنه أنزل فيه القرآن ، يجب أن يتضاعف أثره فى نفس المسلم التابع لهذا الكتاب ، والذى ميز نفسه بين البشر جميعا بهذه التبعية .

فالتكاليف وسائل تهذيب النفس الإنسانية . فمن لم يتهذب بهذه التكاليف فأذاها شكلا ، دون أن تحمل نفسه منها استقامة وصفاء ، فشأنه شأن من لم يقم بها فى عدم الانتفاع بتلك اذداية القدسية الإلهية .

شبهات حول الصيام

بعض الناس ، أو كثير من الناس يرى أن رمضان وما يصحبه من فرض صومه على المسلمين إن هو إلا صورة الرجعية التي لا تلائم عصر التطور الذي نعيش فيه .

الأن صومه يدفع النفس على احتمال بعض الصعاب والمشاق ، وهي تلك الصعاب والمشاق التي تلازم التخلف عن اتباع العادة في وجبات الأكل ومرات الشرب ، والإمساك عما يؤكل ويشرب بياض نهار في اليوم كله ؟ أتمرين الإنسان على ما في الحياة من ألوان ، هو عرصة ، لأن تمر عليه في أنواعها المتناقضة ، يكون رجعية ؟ إذا تعود الإنسان على الحد من رغباته والسيطرة على أنانيته يكون رجعيًا وليس تقدميًا ؟ .

ثم متى يكون الإنسان عضوا صالحًا في مجتمع صالح ؟ أليس لأنه يستطيع أن يحد من رغباته ليفسح مكانًا للحياة غيره معه ؟

ويم نسمى الانطلاق في الاستجابة لرغبات النفس ؟ أنسميه تقدمًا وهو طابع الحيوان والطفل والإنسان البدائي ؟ إذا اتخذ كل فرد في المجتمع الانطلاق إلى ما يريد ويشتهي : قاعدة لسلوكه ، أيكون هناك عندئذ مجتمع قائم بالمعنى الواقعي للمجتمع ؟ وليس وجود المجتمع بمعناه الواقعي إلا قبول أفراده للحدود التي يفرضها دستوره وقانونه ، وهي تلك الحدود التي تتمثل في الحقوق والواجبات .

وبعض الناس أو كثير من الناس يرى أن صوم رمضان عائق عن الإنتاج في كه ونوعه ، ولذلك لا يتفق مع ما تطلبه الحضارة المعاصرة ، لأن قوامها الإنتاج ! أليس من وراء صوم رمضان الخشية من الله ؟ أو ليست الخشية من الله

مصدر تكوين الضمير لدى الفرد ؟ وأليس دفع الضمير للفرد أقوى وأبقى من دفع القانون الوضعي إياه والسلطة التي نشرف على تنفيذه ؟

إن صوم رمضان إذا عاق — افترضاً — عن الإنتاج في كره ونوعه في شهره ، ألم يكن الضمير الذي تكون عند الفرد بسببه كفيلاً بالتعويض في الإنتاج سواء في الكم أو النوع على طول العام كله ؟

وأليس الضمير لدى الفرد هو مصدر الحضارة الإنسانية ؟ فليست هذه الحضارة إلا الاعتراف بالقيم الإنسانية والحفاظة عليها في السلوك للشخص وفي العلاقات بين الأفراد ؟

إن كم الإنتاج المادي هو مظهر الحضارة المادية الصناعية . وليس هذا النوع من الحضارة هو الذي يسعد الأفراد ويقر السلام في علاقات بعضهم بعضاً ، بل ربما كان مصدر تخريب هذه العلاقات ، ومصدر الخصومات ، وقد يكون مصدر إفناء البشرية كلها ، إذا لم تكن بجانبه حضارة إنسانية ، وهي التي تتمثل في القيم العليا من العدل والتعاون والمحبة والأخوة .

ولم تكن الحضارة المادية الصناعية يوماً ما هي مصدر الضمير ، ومصدر السلوك الأخلاقي . ولم تكن بالتالي هي المعبرة عن خصائص الإنسان التي تصور مستواه الرفيع في الإنسانية .

وبعض الناس أو كثير من الناس يرى أن وجوب صيام رمضان يقسم المجتمع إلى طائفتين : إحداهما تقوم بأداء فريضة صومه ، والأخرى تستخف بأداء هذا الواجب وتعمان هذا الاستخفاف في غير صورة ، وفي كثير من الأحيان في صورة من التحدى لهذه الفريضة . وليس من صالح أى مجتمع أن ينقسم على نفسه ، فضلاً عن أن تتحدى طائفة منه طائفة أخرى تعيش معها .

ولكن من الذى لا يرى أن أداء الواجب أى واجب فى المجتمع لا يختلف موقف الأفراد منه بين راغب فى أدائه وبين مؤد له فى ثقل أو فى خوف ؟ . ولولا السلطة القائمة على تنفيذ القانون فى المجتمع لبدا التحدى سافراً لكثير مما يوجب القانون فعله على جميع الأفراد الذين يعيشون فى المجتمع .

ثم من الذى يرى إلغاء الواجبات التى يفرضها المجتمع على نفسه بحكم دينه ومعتقده ، أو بحكم القانون القائم فيه ، حتى لا يقع انقسام فى الرغبات بين الأفراد ؟ طالما كانت الفرائض والواجبات تستهدف صالح الأفراد فى تكوينهم وفى سيرهم نحو هدفهم فى المجتمع ، فإنها فرائض وواجبات لا تقبل الاعتراض فى التنفيذ ، ولا تقف فى طريق أدائها رغبة تسيطر على المدللين والكارهين لقبول بعض القيود على تصرفهم وسلوكهم .

إن القديم والجديد لا يلعب دوراً فى القيمة الذاتية التى يحملها الواجب المفروض . وإن الرجعية والتقدمية لا يدخلها فى الحكم على ما يجب أن يعمل أو ما يجب أن يترك ، إلا ذلك الذى يريد أن يبرر موقفه فى تصرف من التصرفات يخالف عرف المجتمع الذى يعيش فيه ، ولا يستطيع بحكم تحكم رغبة خاصة فى نفسه أن يتفادى هذا التصرف .

إن القديم أو الجديد إذا استسيع فى حمل المرأة على أن تتجاوز ما يفرض عليها من زى معين فى وقت معين مسابقة لطبيعتها فى لفت نظر الرجل إليها ، فإنه إذا أطلقت خلة القديم أو الجديد على المبادئ العامة التى تقوم عليها إنسانية الإنسان فإنها لا تغير من واقع هذه المبادئ ولا من قيمتها .

والصوم عبادة من العبادات أو صورة من صور الواجب الذى لا يتخلف عن هدفه بعض الأفراد أو باختلاف الجليل .

ولكنها الرغبات والأهواء هي التي تكون هذه المدي، لا يحمل الإنسان على الاستخفاف بها أو الإقبال عليها .

والإنسان بهواه قد يغير مجرى النوحية في المجتمع ، ولكنه لا يستطيع بحال أن ينال من المبادئ والقيم التي تميز الإنسان ، والتي تجعل لمجتمعه طابع المجتمع الإنساني صاحب المستوى الفاضل .

إن ما يحبه الإنسان أو يسكره شيء ، آخر وراء ما يجب عليه أن يفعله . والخلط بين ما يجب أو يكره من جانب ، وبين ما يجب فعله من جانب آخر : سنة الإنسان الذي لا يفصل بين القيم الذاتية ، والذي هو في دو لا تنتقل من مرحلة البدائية إلى مرحلة الرشد في الإنسانية .

وما يجب أن يفعل أمر يقر به الرشيد ، ويلزم نفسه بأدائه ، وله متعة في أدائه ، لأنه استطاع عندئذ أن يكون ذا سيادة على تعرفات نفسه .

ماذا بعد رمضان؟

اطمئنان الصائم وخداع المفطر :

عندما يقترب رمضان شيئاً فشيئاً من نهايته ، فالمسلمون فيه واحد من اثنين : واحد قام بما كلف به من فريضة الصوم فيه فهو فرح باقتراب هذه النهاية . وواقع الأمر هو فرح باقتراب إعلان نصره ، وبنفاذ مشيئته ، وبنجاحه في اختيار إيمانه وإرادته . وآخر تقاعد عن أداء هذه الفريضة ، ولكنه مع ذلك يعلن عن نفسه ، كأنه صاحب مشيئة وإيمان ، فيظهر عدم الاكتراث بالصوم والصائمين . وحقبة الأمر أنه في ذلك لا يعبر عن مشيئته وإرادته له ، وإنما يحاول إخفاء إحساسه الداخلي بالضعف والهزيمة . وهكذا كل إنسان به ضعف أو نقص بأننى بعكس مظهر الضعف والنقص ، ويباغ في ذلك محاولاً أن يغطى ضعفه ونقصه في الحياة . وهذه المبالغة نفسها هي التي تكشف عن ضعفه الحقيقي ونقصه الحقيقي .

إن الذي يفطر جهاراً في رمضان ، والذي يستخف في حديثه بغيره لأنه يصوم ، والذي يقندر بفريضة الصوم ، وبتشريع الصيام ، والذي يصفه مرة بالرجعية ، وأخرى بعدم ملاءمته لعصر الحضارة والذرة — هذا الذي يفعل ذلك — يأتي به ، لا تعبيراً عن عقيدة أو رأى صحيح ، ولكن تعبيراً عن خجل ، وتغطية لمشأله في أن يحزم أمره ، ويمتلك زمام نفسه ، شأن الإنسان المكتمل في انسانيته . وكما أمعن في الاستخفاف بفريضة الصوم ، كما كان شعوره النفسى الداخلى أقرب إلى شعور التناق الذى ارتكب أمراً منافياً لأداب الجماعة ، ولخصائص الإنسانية ، وهو يحرص مع ذلك على أن يبقى من أفراد الجماعة وعلى أن تكون له خصائص الإنسانية ، وهى خصائص من له إيمان ومشيئة . هذا إنسان لم يعرف قيمة نفسه ، وإنه الخزى ، أو عدم الاستحباب ، هو الذى يدفعه إلى عذا الوقت الكريه .

أثر الصوم في حياة المسلم :

ولكن : ليس كل من صام قد أدى واجب الصوم . إن الذى يؤدى فريضة الصيام حقيقة هو الذى تهيأت نفسه لاستقبال حياة ما بعد رمضان ، بنفس الروح التى عاش بها أثناء صوم هذا الشهر المبارك . هو الذى يستقبل حياة ما بعد رمضان ، وما يقع فيها من أحداث بروح صاحب العزم ، وصاحب الأمل فى أن يتغلب على أحوالها وصعابها ، روح ذلك الذى لا ييأس من توالى العقبات فى حياته وحياته أمته . يروى أبو هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه يقول : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » . وإذن ليس له أثر الصوم وفائدته ، وإذن لم يتجاوز صومه فيه وبطنه إلى إعداد نفسه وقلبه . والصائم الذى ليس له من صيامه إلا الجوع هو ذلك الذى فهم الصوم : أنه إمساك عن الأكل والشرب فقط . ولذلك سيستقبل حياة ما بعد رمضان على أنها حياة الأكل والشرب فحسب . فإن واجبه شدة ، أو أصيب بمكروه ، أظلمت الدنيا فى عينيه ، وعلى وجهه أمارات السخط والتبرم ، وربما أمارات اليأس والنسليم . لأنه لم يشعر فى رمضان بإعداد الصوم له لمواجهة مثل هذا المكروه بروح القوى فى مشيئته ، ولما تبار الصار فى تغلبه على صعاب حياته . ويومئذ يكون شأنه شأن من سهر الليل وتهجد فيه ، وأطال يقظته يتعبد الله ، دون أن يالحق نفسه أثر عبادته فيه ، من : الصفاء ، والاطمئنان ، والبعد عن الدنيا والحرمات ، والقوة فى سلوك طريق الله ، وهو طريق الحق ، طريق الأمة والجماعة .

إن سلوك الإنسان فى حياة ما بعد رمضان ، لدلائل على قيمة صومه فيه ، إن كان للأكل والشرب ، أو للإعداد والتهيئة لظروف الحياة المختلفة . والصوم الصحيح هو صوم الإعداد والتهيئة . ولذلك تنصح السنة بصوم ثلاثة أيام من كل

شهر ، حتى يكون الإنسان دائماً على أهبة عناية لاستقبال أحداث الحياة في كل وقت ، بنفس المطهرين المؤمل ، غير اليائس المستسلم عند مفاجأة الأحداث له .

عن عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقول :
« صوم ثلاثة من كل شهر ورمضان الى رمضان ، صوم الدهر كله » . أى إذا صام الإنسان رمضان من كل عام ، وأضاف إلى صومه ثلاثة أيام من كل شهر كان في انتفاعه بالصوم في حياته بنزلة من يصوم الدهر كله ، أى لازمته روح الصائم في الحياة ، وهى روح اقوى بإيمانه ، الذى يواجه الأحداث في شجاعة ، والذى مرن على أن يعطى من نفسه ، وأن يحكم نفسه فيجرمها مما تهوى ، ليتغلب على ما يذله ويستعبده .

إن حياة الإنسان حقائق متواصلة . فما يؤدى اليوم من خير يجب أن يكون مقدمة تستتبع خيراً آخر . وما يقع من تجربة نافعة يجب أن يستمر أثرها إلى ما بعدها . وحياة ما بعد رمضان يجب أن تكون متصلة بآثار هذا الشهر المبارك .

شهر الحج

عندما يأتي شهر ذى الحجة - يحمل معه ذكريات : بعضها يتعلق بتاريخ البشرية في صلتها بهداية الله إياها . فهو يذكر بأول بيت وُضع للناس للذي ببكة ، مباركاً وهُدى للعالمين : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ، مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَّاهِمُ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ^(١) » . يذكر بموطن الرسالة الأولى للبشرية من قبل الله جل شأنه . وهي رسالة الهدى وتوضيح السبيل للحق . تلك الرسالة التي جاء بها سيدنا إبراهيم عليه السلام تعرض الدعوة إلى التوحيد في عبادة الله وعدم الشرك به ، وحملها من بعده جميع رسل الله في الأرض ثم أكدتها رسالته خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ^(٢) » . « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٣) » .

وبعض هذه الذكريات يتصل بالحج والنداء إليه كعبادة فرضها الله على القادر عليه . وهو الحج إلى هذا البيت المبارك : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ^(٤) » . « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ^(٥) » . أي يأتوك من قريب ومن بعيد .

وفرضه الله إحياء لذكرى هذا البيت وتمجيدهاً لشأنه في الرسالة الإلهية . فمن هذا البيت ظهرت أول دعوة قدسية إلى التوحيد ، ومن هذا البيت انتهت آخر

(٢) الأنبياء ٢٥ .

(١) آل عمران ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) النحل ١٢٠ - ١٢٣ . (٤) آل عمران ٩٧ (٥) الحج ٢٧ .

رسالة سماوية تدعو إلى التوحيد وتؤكد . ولذا كانت شعار الحج في الإسلام صورة صادقة لهذه الذكري التي تحكى ما وقع في عهد إبراهيم وابنه إسماعيل من بعده عليهما السلام : « ذَلِكْ وَ مَن يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (١) » .

الحج تعبير عن وحدة المجتمع :

ودعوة التوحيد التي حملتها الرسائل السماوية المتتابعة من عهد إبراهيم إلى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام إن تجتهد مباشرة إلى عدم إثراك غير الله مع الله في عبادته — فهي تنجبه انجهاً غير مباشر إلى تقريب النفوس البشرية بعضها من بعض وتؤكد أواصر الأخوة بينها ، ودفع أسباب الفرقة والخصومة في علاقاتها ، حتى يبدو مجتمع الإنسانية مجتمعاً واحداً ، وحتى تبدو النفوس البشرية كأنها نفس واحدة في تعاونها وترباطها .

ومن هنا كانت فريضة الحج في الإسلام هي تلك الفريضة التي يعبر بظاهرها الخارجي تعبيراً قوياً عن هذا الاتجاه . إذ لا أدل على قوة هذا التعبير من اجتماع حجاج بيت الله الحرام في صعيد واحد هو صعيد البيت الحرام ، وفي وقت واحد هو وقت الوقوف بعرفات ، وعلى نداء واحد هو : « لبيك اللهم لبيك » .. أى استجابة لك وطوعية لندائك قدمنا إلى هذا المكان ، ووقفنا في هذا الوقت لتجبه إليك بقلوب واعية يلتقي بعضها مع بعض ، كما تلتقي أجسامنا ويلتصق بعضها ببعض ، ولنعاهدك على أن نحرص على هذا الوضع بيننا ما حيينا .

لا أدل على قوة هذا التعبير من طواف الحجاج حول الكعبة في صورة تتمحى فيها فوارق الأبعاد والاتجاهات : ليس فيها شرق وغرب ولا شمال وجنوب

كما تنمحي في لقاء بعضهم ببعض هناك : فوارق الجنس والقبيلة .. فوارق اللون والشكل ، وفوارق الوطن والإقامة .

شهر الحج بما فيه من الذكريات الخالدة التي تعود على البشرية بالخير ، ويتحقق لها أهم غاياتها من التعاون والترابط — كان الشهر الذي يحتفل فيه بعيد الأضحى . وهو العيد الذي يقع عقب الانتهاء من أداء شعائر الحج ومناسكه . والاحتفال بهذا العيد هو في واقع الأمر احتفال بهذا اللقاء الذي ابتعدت عنه مظاهر المفارقات المختلفة واقتربت فيه القلوب بعضها من بعض . هو احتفال بالوحدة والتوحيد معاً . إن شهر الحج من كل عام هو شهر البعث المعقّدة هي عقيدة التوحيد ، وشهر إيقاظ الوعي لقوة الروح والإيمان ، وشهر الاحتفال بعيد هو عهد الإخاء والفداء .

شهر الحج أكثر من زمن ووقت محدد كجزء من أجزاء السنة . هو شهر يربط إنسان الأرض بالسماء ، ويدفعه إلى السعي نحو المكان الذي اتصلت فيه القوة الإلهية بالبشرية لأول مرة : ليجدد الصلة بينه وبين الله حتى يقوى ما بينه وبين أخيه الإنسان .

ولذا كان هذا المكان مباركاً ومهدى للعالمين جميعاً ، وسيظل مباركاً ومهدى للعالمين ، وفي كل وقت وكل جيل : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ الَّذِي بِيَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ^(١) » .

الحج وحدة في المشاعر والآمال

وحدة المشاعر والآمال في الحج : هدف من أهداف هذه الفريضة التي نظمها الإسلام وجعلها عبادة مقررة في حياة المسلمين .

إن مشاعر الحج هي مواضع مناسكه ومظاهر عبادته ، وأخصها البيت الحرام بمكة ، وجبل عرفات بالقرب منها . ومن البيت الحرام إلى عرفات ذهاباً وإياباً تؤدي مناسك الحج ، وهي الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة إلى غروب شمس اليوم التاسع من ذي الحجة ، والنزول منه إلى المشعر الحرام — هو جبل المزدلفة بين عرفة ومنى — ورعى الجمار . وبهذا الرمي يبدأ الحاج في التحلل من الإحرام الذي دخل بنيته في هذه العبادة الرئيسية بين عبادات الإسلام . والأمكنة التي رتادها الحاج في أداء فريضة الحج واحدة ، ومظاهر العبادة التي تؤدي في هذه الأماكن واحدة ، والشعار الذي يميز الحجاج عن غيرهم من بقية المسلمين ، وهو شعار الإحرام واحد ، والدعاء الذي ينادى به الحاج ربه أتمناه أدائه فريضة الحج واحد ، وهو : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إيلك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وغاية هذا النداء هو الإقرار بالوحدة في العبودية .

الحج يؤكد التآخي بين المسلمين :

والحج بهذا عبادة قصد بها الإسلام تأكيد الأخوة بين المسلمين : في وحدة القلوب ، ووحدة الدعاء ، ووحدة المظهر . والحج بهذا عبادة تنصهر فيها الفوارق بين أجناس المسلمين وقيائلهم ، ومواطنهم ، ولغاتهم ، وألوانهم ، وثقافتهم ، ومنازلهم الاجتماعية ، لا يتميز أحدهم عن الآخر بأنه انحدر من الجنوب ، والآخر انحدر من

الشمال ، أو هذا آتى من الشرق ، وذاك من الغرب . والطواف حول الكعبة — وهو ركن من أركان الحج — رمز هذا الانصهار . والوقوف بعرفة بعده في وقت واحد يتساند فيه الكتف مع الكتف ، ويشترك فيه القدم مع القدم في النطق بالطواغية والامتثال إلى الله : لبيك اللهم لبيك — مظهر آخر من مظاهر انصهار الفوارق الشخصية بين المسلمين .

إن مشاعر الحج تعرف السلم بأخيه المسلم ، وتشرك المسلم مع المسلم في التجاوب لدعوة الله ، وهى دعوة الإخاء والتعاون ، ودعوة المسلم لمن يسلم المسلمين ، ودعوة رد الاعتداء لمن يعتدى على المسلمين .

إن مشاعر الحج مواضع لقيًا وتقريب : أقيًا على نداء الحق ، وتقريب لما بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

والإسلام إذ يحرص بتلك المشاعر التي حددها لمباشرة الحاج عبادة الحج وأداء فريضته ، على أن يوقظ بها وحي الوحدة والالتقاء بين المسلمين : يحرص أيضاً على أن لا يكون أثرها وحيًا مؤقتًا بشعور إخاء والتقاء مؤقت . ولذلك طاب منهم أن يستصحبوا أثر هذه المشاعر والمناسك أثناء الحج في نفوسهم ، بعد الانتهاء منها وبقوا عليها ويرعوها حق رعايتها أيضاً بعد الفراغ من هذه العبادة كلية . ويقول القرآن الكريم مخاطبًا حجاج بيت الله : « فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْهَا سَائِغَكُمْ فَذُكِّرُوا اللَّهُ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ^(١) » .. أى لا تشغلوا نفوسكم بما كنتم تشغلونها به من قبل حسب عادتكم . وقد كان العرب قبل الإسلام إذا فرغوا من مظاهر الحج على نحو ما ألفوا فيه أيام الجاهلية عادوا في الحديث عن مناقبهم ومفاخرهم ، وكانت كل قبيلة تذكر ما لها من أجداد وتكثر من عرضها والإحلاح في هذا العرض . وكان ذلك من أسباب بقاء عنصر القبيلة متحكماً في الفرقة بين العرب ، وفي النزاع والخصومة

فيهم . فلما جاء الإسلام طلب من المسامين أن يكون حديثهم بعد قضاء مناسك الحج هو الحديث عن الله ، وأن يكون حديثهم على ذكره أشد من حديثهم على ذكر آبائهم في المفاخرة على نحو ما كان يفعل العرب في الجاهلية ، ووضع بذلك : الله في حياة المسلمين .. مكان الآباء والأنساب في حياة الجاهلين . وقصد بذلك أن تبقى كلمة المسلمين موحدة ، وهي ذكر الله ، وأن تكون قلوبهم مجتمعة دوماً على الإيمان بواحد وهو الله ، وأن يكون هدفهم في الحياة شيئاً واحداً وهو نصره الله . وإذن : آمال المسامين ليست موزعة وإنما هي واحدة ، كما أن مشاعر الحج ليست مختلفة متباينة .

والحج بذلك عبادة وحدث المشاعر والآمال . وهدف الحاج أثناء أدائه فريضة الحج ، هو هدفه لم يتغير بعد أن يؤديها ، هو : تذكر المثل الأعلى في الحياة والعمل على التقرب من هذا المثل . هو ذكر الله والعمل على أداء ما فرضه عليه . وما فرضه من عمل واجب . وترك محرم ، فرضه لإيجاد الإخاء ، وتحقيق التماون وصيانة السلم ودفع الاعتداء .

الحج عبادة . وكل مظهر فيها يبعث على الوحدة والتجانس . ثم أداؤها دافع قوى على بقاء الوحدة والتجانس بين المسلمين الذين تميزوا بعبادة المعبود الواحد . هذا شأن المسامين ، وهذه منزلة فريضة الحج في حياتهم . وهل لنا — نحن مسلمي اليوم — أن نتوحد فنذكر الله في حياتنا ، بدل أن نذكر آباءنا وما فرقنا به الأجنبي الدخيل علينا ؟ وهل لنا أن نفيد من مبادئ الإسلام في جماعتنا وتميز به وحده من غيرنا جميعاً ، قبل أن يتميز بعضنا عن بعض بما طالبنا الإسلام بالقضاء عليه وهو التبعية لوحى العصبية والفرقة الشخصية ؟ .

إن الله في حياتنا هو المبدأ وليس الشخص ، هو رسالة القيم وليس اتباع

الموى .